الباب الحادي عشر

المرأة، عالمة، فقيه، محدّثة

الفصل الأول

تشجيع الإسلام على العلم

حينما تحدث البيان الإلهي عن العلم ، لم يخص به الرجال فقط ، وإنما أتىٰ بذلك بشكل عمومي ، من ذلك قوله تعالىٰ :

﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُوا۟ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ [آل عمران : ١٨] .

وفي معرض خطابه لأمهات المؤمنين ، يوجههن إلىٰ أن ينقلن العلم كاملاً ـ سواءً ما نزل علىٰ النبي ﷺ من القرآن ، أو ما حدث من تشريعات وأحكام ـ فيقول تعالىٰ :

﴿ وَٱذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِى بُيُوتِكُنَّ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱلْحِكْمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا ﴾ [الأحزاب : ٣٤] .

وعندما يتحدث عن خشية الله ، يكون القرار واضحاً ، بأنها لن تكون إلا من عباد الله العلماء ـ سواء كان ذكوراً أم إناثاً ـ فيقول تعالىٰ :

﴿ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴾ [فاطر : ٢٨] .

وعند التمييز بين من يعيش في نعم الله ثم يكفر بها ، وبين من يشغل غالبية أوقاته بالسجود والقيام والخوف من يوم القيامة والرجاء من الله أن يرحمه ، ويأتي البيان الإلهي بصفة من يستطيع التمييز بين هذا الصنف

وذاك ، ألا وهو الإنسان العالم المتعلم ـ سواء كان ذكراً أو أنثىٰ ـ يقول الله تعالىٰ :

﴿ ۞ وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُۥ مُنِيبًا إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُۥ نِعْمَةً مِّنْهُ نَسِىَ مَا كَانَ يَدْعُوٓا۟ إِلَيْهِ مِن قَبْلُ وَجَعَلَ لِلَّهِ أَندَادًا لِّيُضِلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا ۖ إِنَّكَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِ ۞ أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْءَاخِرَةَ وَيَرْجُوا۟ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾

[الزمر : ٨ـ٩] .

وكذلك الأمر في السنة الشريفة ، حيث لم تخصص موضوع التعلم والتعليم في فئة الرجال فقط ، إنما كان الأمر عاماً ، يستوي في ذلك الرجال والنساء .

من ذلك ما أخرجه الترمذي وأبو داود عن أبي الدرداء قال : قال رسول الله ﷺ : « من سلك طريقاً يلتمس فيه علماً سلك الله طريقاً إلىٰ الجنة ، وإن الملائكة لتضع أجنحتها رضاءً لطالب العمل ، وإن العالم ليستغفر له من في السماوات والأرض حتىٰ الحيتان في الماء ، وفضل العالم علىٰ العابد كفضل القمر علىٰ سائر الكواكب ، وإن العلماء ورثة الأنبياء ، وإن الأنبياء لم يورثوا ديناراً ولا درهماً ، إنما ورثوا العلم ، فمن أخذ به أخذ بحظٍ وافر » .

ومن ذلك ما أخرجه البخاري عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : قالت النساء للنبي ﷺ : غلبنا عليك الرجال ، فاجعل لنا يوماً من نفسك ، فوعدهنّ يوماً لقيهنّ فيه فوعظهنَّ وأمرهنَّ ، فكان فيما قال لهن : « ما منكن امرأة تقدّم ثلاثاً من ولدها إلا كان لها حجاباً من النار » فقالت امرأة : واثنين ، فقال : « واثنين » .

ومن ذلك ما رواه الترمذي عن عائشة رضي الله عنها قالت : قلت

يا رسول الله ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَوا۟ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ﴾ [المؤمنون : ٦٠] أهمُ الذين يشربون الخمر ويسرقون ؟ قال : « لا ، يا بنت الصديق ، ولكنهم الذين يصومون ويتصدقون ويخافون أن لا يُقبل منهم » ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ﴾ [المؤمنون : ٦١] .

ومن ذلك ما رواه الإمام أحمد ، والترمذي ، والنسائي ، وابن حبان ، والحاكم عن أنس بن مالك : أنّ أمَّ سليم غدت علىٰ رسول الله ﷺ ، فقالت : علمني كلماتٍ أقولهنَّ في صلاتي ، فقال : « كبري الله عشرة ، وسبِّحي عشراً ، واحمدي عشراً ، ثم صلِّي ما شئت ، يقول : نعم نعم » .

ومن ذلك ما رواه الترمذي وابن حنبل وابن ماجه عن عائشة رضي الله عنها قالت :

قلت : يا رسول الله إن وافقت ليلة القدرفما أدعو به ؟

قال : « قولي : اللهم إنك عفوٌّ تحب العفو فاعفُ عنَّا » .

ومن ذلك ما رواه الإمام أحمد عن أبي هريرة قال : جاءت فاطمة إلىٰ النبي ﷺ تسأله خادماً ، فقال لها : « قولي : اللهم رب السماوات السبع ورب العرش العظيم ، ربنا ورب كل شيء ، منزّل التوراة والإنجيل والفرقان ، فالقُ الحبّ والنوىٰ ، أعوذ بك من شر كل شيء أنت آخذ بناصيته ، أنت الأول فليس قبلك شيء ، وأنت الآخر فليس بعدك شيء ، وأنت الظاهر فليس قبلك شيء ، وأنت الباطن فليس دونك شيء ، اقض عني الدَّين وأغنني من الفقر » .

* * *

الفصل الثاني

إصرار الشريعة الإسلامية على تعليم المرأة!!

ولا يُفهم من إصرار الشريعة علىٰ تعليم المرأة[1] ، أنها ستصبح يوماً ما وزيرة أو غير ذلك ـ مع العلم أنه لا يعارض ذلك ـ إنما المهم من تعليمها هو تثقيفها لذاتها .

لأن الشريعة تنظر إلىٰ أن المرأة هي المربية للأطفال ، فإن كانت متعلمة خرج الجيل كله متعلماً ، وكان ذلك الأمر سهلاً عليها .

بينما إن كانت جاهلة فسيكون الجيل ـ غالبيته ـ جاهلاً ، وهذا الأمر نلمسه في حياتنا العملية ، خاصة إن كان رب الأسرة من الذين يغيبون عن الأسرة كثيراً ، كأن يكون من الذين يسافرون مدة طويلة خارج البلدة ونحو ذلك .

ولذلك نرىٰ التركيز علىٰ تعليم المرأة وتربيتها التربية اللائقة ، من ذلك نقرأ للشاعر الرصافي أبياتاً رائعة في هذا المجال :

---

(١) لذلك يقول الفقهاء : يحرم علىٰ الرجل منعها من الخروج إلىٰ التعلم ، إن لم يكن هو عالماً ، فإن لم يستطع زوجها تعليمها أمور دينها أو الاستفتاء لها فلها الخروج للسؤال ، وإن منعها من ذلك فقد عصىٰ الله تعالىٰ!!

للتوسع : إرشاد العباد إلىٰ سبيل الرشاد للمليباري ص١٣٩ ، وإحياء علوم الدين للغزالي ٢/ ٣١ . والدر المختار وحاشيته لابن عابدين ، والشوكاني في فتح القدير ، وشرح القسطلاني في شرح البخاري . . .

ولـم أر للخـلائـق مـن محـلٌ يهـذبهـا كحضـن الأمّهـات
فحضـن الأم مـدرسـة تسـامـت بتـربيـة البنيـن أو البنـات
وأخـلاق الـوليـد تقـاس حُسنـاً بـأخـلاق النسـاء الـوالـدات
وليـس ربيـب عـاليـة المـزايـا كمثـل ربيـب سـافلـة الصفـات!
وليـس النبـت ينبـت فـي جنـان كمثـل النبـت ينبـت فـي الفـلات

إلىٰ أن يقول مخاطباً أم المؤمنين رضي الله عنها :

أأمّ المـؤمنيـن إليـك نشكـو مصيبتنـا بجهـل المـؤمنـات
فتلـك مصيبـة يـا أم منهـا نكـاد نغـص بـالمـاء الفـرات

ثم يختم قصيدته الرائعة بقوله :

نـرىٰ جهـل الفتـاة لهـا عفـافـاً كـأن الجهـل حصـنٌ للفتـاة!!!
ونلـزمهـنَّ قعـر البيـت قهـراً ونحسبهـنَّ فيـه مـن الهنـات
لئـن وأدوا البنـات فقـد قبـرنـا جميـع نسـائنـا قبـل الممـات

* * *

الفصل الثالث

نماذج رائعة تتعلّق بالنساء المتعلمات

لكن ما هو القول الفصل في تعليم المرأة ؟!

بعد أن ذكرنا من الآيات والأحاديث بعض التي تتحدث عن تعليم المرأة ، نرىٰ لزاماً أن ننظر إلىٰ التطبيق العملي لهذا الأمر ، في عهد الصحابة والتابعين ومن جاء بعدهم ، ففي النظر في سيرة أولئك العظام خير دليل ناصع علىٰ ما ذهبنا إليه ، وبعدها لا ضرورة لمناقشة القائلين بتحريم التعليم علىٰ المرأة ، سواءً كان انطلاقهم إلىٰ ذلك من غيرة أو من أهواء كامنة في نفوسهم أو . . . !!

لأن كل قضية يُثار حولها خلاف فلا بدَّ من النقل أو العقل ، ليحكم في ذلك .

* ينقل الإمام ابن الجوزي ـ رحمه الله ـ طائفةً من أحوال النساء وقد أقبلن علىٰ التعليم والتعلم ، وخاصة التفقه في الدين ، والعناية بالحديث الشريف .

من ذلك مثلاً :

قال الزهري : لو جمع علم عائشة ـ رضي الله عنها ـ إلىٰ علم جميع أزواج النبي ﷺ وجميع النساء ، كان علم عائشة أكثر .

. . . . وقال عاصم الأحول :

كنا ندخل علىٰ (حفصة بنت سيرين) وقد جعلت الجلباب هكذا وتنقّبت به ، فنقول لها : رحمك الله ، قال الله تعالىٰ :

﴿ وَٱلْقَوَٰعِدُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ ٱلَّٰتِى لَا يَرْجُونَ نِكَاحًا فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَن يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ غَيْرَ مُتَبَرِّجَٰتٍۭ بِزِينَةٍ ﴾ [النور : ٦٠] .

وهو الجلباب ، قال : فتقول لنا : أي شيء بعد ذلك ؟

فتقول : ﴿ وَأَن يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَّهُنَّ ﴾ [النور : ٦٠] .

فتقول : هو إثبات الجلباب .

. . . . وقال أبو الحسن الدارقطني :

أمة الواحد بنت الحسين بن إسماعيل بن محمد القاضي المحامليّ ، سمعت أباها ، وإسماعيل بن العباس الوراق ، وعبد الغافر بن سلامة الحمصي ، وأبا الحسن المصري ، وحمزة الهاشمي الإمام وغيرهم .

وحفظت القرآن والفقه علىٰ مذهب الإمام الشافعي ـ رحمه الله ـ والفرائض وحسابها ، والنحو ، وغير ذلك من العلوم

وكانت فاضلة في نفسها ، كثيرة الصدقة ، مسارعةً في الخيرات ، وحدّثت ، وكتب عنها الحديث

. . . . وقال ابن جابر :

أدركت مولاة أبي أمامة في مسجد حمص ، وهي تُعلّم النساء القرآن والسُّنن والفرائض وتفقههنّ في الدين .

وكانت أم عيسىٰ بنت إبراهيم الحربي : فاضلة عالمة تُفتي في الفقه[1] .

---

(١) من أماكن متفرقة من كتابة صفوة الصفوة خاصة الجزء الرابع والثاني .

وأما ابن العماد الحنبلي فينقل لنا طائفة من تراجم النساء ـ وهي كثيرة جداً ـ وفيها الدليل القاطع علىٰ اهتمام الإسلام بموضوع تعلم وتعليم النساء ، ويبرز لنا نماذج من حياتهن وخاصة اهتمامهن بالعلوم وخاصة الفقه وعلم الحديث ، ولن نستطيع استعراض ذلك كله ، لكن نكتفي ببعض الأمثلة :

(**رقية بنت العفيف عبد السلام بن محمد بن مزروع المدنيَّة**) : حدَّثت بالإجازة عن شيوخ مصر والشام كالختني وابن المصري وابن سيِّد الناس من المصريين ، والمزِّي وغيره من الشاميين .

(**أم عيسىٰ مريم بنت أحمد بن أحمد بن قاضي القضاة شمس الدين محمد بن إبراهيم الأذرعيّ**) : قال ابن حجر : وسمعت الكثير من علي بن عمر الواني ، وأبي أيوب الدبوسي ، والحافظ قطب الدين الحلبي ، وناصر الدين بن سمعون ، وغيرهم ، وأجاز لها التقي الصائغ وغيره من المسندين بمصر والحجاز وغيره من الأئمة بدمشق ، خرَّجت لها معجماً في مجلّدة ، وقرأت عليها الكثير من مسموعاتها وأشياء كثيرة بالإجازة .

وهي أخت شمس الدين المتقدِّم ذكره في هذه السَّنة ، عاشت أربعاً وثمانين سنة ، ونعمت الشيخة ، كانت صيِّنة ومحبة في العلم ، وهي آخر من حدَّثت عن أكثر مشايخها المذكورين ، وقد سمع أبو العلاء الغرضيُّ من يوسف الدبوسي ، وسمعت هي منه .

(**فاطمة البغدادية**) : هي أم زينب البغدادية الشيخة العالمة الفقيهة الزاهدة سيدة نساء زمانها الواعظة .

انتفع بها خلق من النساء ، وتابوا ، وكانت وافرة العقل والعلم قانعةً باليسير ، حريصة علىٰ النفع والتذكير ، ذات إخلاص وخشية وأمر

بالمعروف ، انصلح بها نساء دمشق ثم نساء مصر ، وكان لها قبول زائد ووقع في النفوس .

(**وزينب بنت الكمال**) : أم عبد الله ، زينب بنت الكمال أحمد بن عبد الرحيم المقدسية المرأة الصالحة العذراء ، لقيت (مسندة الشام) ، روت عن محمد بن عبد الهادي وخطيب مردا واليدانيّ وسبط ابن الجوزي وجماعة ، وبالإجازة عن عجيبة الباقداريّة ، وابن الخير وابن العليق وعدد كثير ، وتكاثروا عليها ، وتفرّدت ، وروت كتباً كباراً .

(**وعائشة محدثة دمشق**) : هي عائشة بنت محمد بن عبد الهادي بن عبد الحميد بن عبد الهادي بن يوسف بن محمد بن قدامة المقدسي الأصل ـ أبوها ـ الصالحية الحنبلية المذهب ، المحدّثة ، محدثة دمشق .

حضرت في أوائل الرابعة من عمرها جميع صحيح البخاري علىٰ مسند الآفاق الحجّار ، وروت عن خلق ، وروىٰ عنها : الحافظ ابن حجر ، وقرأ عليها كتباً عديدة ، وكانت في آخر عمرها أسند أهل زمانها ، مكثرة سماعاً وشيوخاً ، قاله العلمويُّ في طبقات الحنابلة .

وقال ابن حجر : تفرَّدت بالسماع من الحجَّار ومن جماعة ، وسمع منها الرحَّالة ، فأكثروا ، وكانت سهلة في الإسماع .

ومن العجائب أن ست الوزراء كانت آخر من حدَّثت عن ابن الزّبيديِّ بالسماع ، ثم كانت عائشة آخر من حدَّثت عن صاحبة الحجَّار بالسماع ، وبين وفاتيهما مائة سنة .

(**وفاطمة بنت محمد**) : المقدسية ثم الصالحية الحنبلية أم يوسف ، كان أبوها محتسب الصالحية ، وهو عمُّ الحافظ شمس الدين .

أسمعت الكثير علىٰ الحجَّار وغيره ، وأجاز لها أبو نصر بن الشيرازيِّ

وآخرون من الشام وحسين الكرديّ وعبد الرحمن المنشاويّ ، وآخرون من مصر .

قال ابن حجر : قرأت عليها الكثير من الكتب والأجزاء بالصالحية ونِعْم الشيخة كانت .

(**ونَشْوان الكنانية**) : هي أم عبد الله نشوان بنت الجمال عبد الله بن علي الكنانية ثم المصرية الحنبلية الرئيسة ، روت عن العفيف النشاوري وغيره ، وروىٰ عنها جماعة من الأعيان ، منهم القاضي كمال الدين الجعفري النابلسي وغيره .

وكانت خيِّرة صالحة ، وهي من أقارب القاضي عز الدين الكناني ، وكانت علىٰ طريقته في العفة والزهد حتىٰ في قبول الهدية .

(**وخديجة الحلبي**) : هي خديجة بنت محمد بن حسن البابي الحلبي المعروف بابن البيلونيّ الشافعي ، الشيخة الصالحة المتفقهة الحنفية ، أجاز لها الكمال بن الناسخ الطرابلسي وغيره روايةً صحيح البخاري ، واختارت مذهب أبي حنيفة رحمه الله مع أن أباها وإخوتها شافعيون ، حفظاً لطهارتها عن الانتقاض بما عساه يقع من مسِّ الزوج لها ، وحفظت فيه كتاباً وكانت ديِّنة صينة متعبِّدة مقبلة علىٰ التلاوة إلىٰ أن توفيت في شهر رمضان .

(**وفاطمة الدقاق**) : هي فاطمة بنت الشيخ أبي عليّ الحسن بن علي الدقاق الزاهد زوجة القشيري ، كانت كبيرة القدر عالية الإسناد من عوابد زمانها ، روت عن أبي نعيم الإسفرائيني والعلوي والحاكم وطائفة

(**وست الفقهاء**) : المعمَّرة أمة الرحمن ست الفقهاء بنت الشيخ تقي الدين إبراهيم الواسطي الصالحية المحدثة ، سمعت جزء ابن عرفة من عبد الحق حضوراً وسمعت من إبراهيم بن خليل وغيره ، وأجاز لها جعفر

الهمذاني وكريمة وأحمد بن المعزّ وابن القسطي وعدد كثير ، وكانت مشاركة صالحة مباركة ، روت الكثير ، وهي والدة فاطمة بنت الدباهيّ .

(**وكريمة الخضر**) : هي كريمة بنت عبد الوهاب بن علي بن الخضر ، مسنده الشام أم الفضل القرشية الزبيرية ، وتُعرف ببنت الحبقبق ، روت عن حسان الزيات وخَلْق ، وأجاز لها أبو الوقت وابن الباغيان ومسعود الثقفي وخلق ، وروت شيئاً كثيراً .

(**وزينب بنت محمد بن محمد بن أحمد الغزّي الشافعية**) : قال في الكواكب : كانت من أفاضل النساء من أهل العلم والدين والصلاح ، قرأت علىٰ والدها وعلىٰ أخيها شقيقها الشيخ الوالد كثيراً ، وكتبت له كتباً بخطها ، ومدحته بقصيدة تقول فيها :

إنما العالم الذي ... جمع العلم واكتمل
قام فيه بحقّه ... يتبع العلم بالعمل
سهر الليل كله ... بنشاط بلا كسل
فهو والله دأبه ... أبد الدهر لم يزل
حاز علماً بخشيةٍ ... وبدنياه ما اشتغل
حاسديه تعجّبوا ... ليس ذا الفضل بالحِيَلْ
ذاك مولاه خصّه ... بكمالٍ من الأزل
من يَرُم مشبهاً له ... في الورىٰ عقله اختبَلْ
أو بلوغاً لفضله ... فله قطّ ما وصل
فهو شيخي وسيدي ... وبه النفع قد حصل

وشِعرها في المواعظ وغيرها في غاية الرقة والمتانة ، اتصلت بمنلاّ كمال وبعده بالقاضي شهاب الدين البصرويّ .

(**وأمة المحاملي**) : هي أمة الواحد ابنة القاضي أبي عبد الله الحسين بن إسماعيل المحامليّ ، حفظت القرآن والفقه والنحو والفرائض والعلوم ، وبرعت في مذهب الشافعي ، وكانت تفتي مع أبي علي بن أبي هريرة .

(**وعائشة الباعونية**) : هي عائشة بنت يوسف الباعونية ، الشيخة الصالحة الأريبة العالمة العاملة أم عبد الوهاب الدمشقية ، أحد أفراد الدهور ونوادر الزمان فضلاً وأدباً وعلماً وشعراً وديانة وصيانة ، تنسّكت علىٰ يد السيد الجليل إسماعيل الخوارزمي ، ثم علىٰ خليفة المحيوي يحيىٰ الأرمويّ ، ثم حُملتْ إلىٰ القاهرة ونالت من العلوم حظاً وافراً ، وأجيزت بالإفتاء والتدريس ، وألّفت عدة مؤلفات منها : (الفتح الحنفي) : يشتمل علىٰ كلماتٍ لدنيّة ومعارف سنيّة .

و(الملامح الشرقية والآثار المنيفة) : يشتمل علىٰ إنشادات صوفيّة ومعارف ذوقية .

و(در الغائص في بحر المعجزات والخصائص) : وهو قصيدة رائية .

و(الإشارات الخفية في المنازل العليّة) : وهي أرجوزة اختصرت فيها كتاب (منازل السائرين) للهرويّ .

وأرجوزة أخرىٰ لخّصت فيها كتاب (القول البديع في الصلاة علىٰ الحبيب الشفيع) للسخاوي .

وبديعية شرحتها ، وغير ذلك .

. . . . و(**زينب بنت مكي بن علي بن كامل الحرَّاني**) الشيخة المعمِّرة لعابدة أم أحمد ، سمعت من حنبل وابن طيرزدوستٌ الكتبة وطائفة ، وازدحم عليها الطلبة ! !

. . . . و(**فاطمة بنت عبد القادر بن محمد بن عثمان الشهيرة بنت قريمزان**) ، الشيخة الفاضلة الصالحة الحنفية الحلبية شيخة الخانقيين العادليّة والدجاجيّة معاً ، كان لها خط جيد ونسخت كتباً كثيرة ، وكان لها عبارة فصيحة وتعففّ وتقشف ، وملازمة للصلاة حتىٰ في حال المرض .

تزوجها الشيخ كمال الدين محمد بن ميرجمال الدين بن قلىٰ درويش الأردبيليّ الشافعي نزيل المدرسة الرواحيّة بحلب الذي قيل : إن جدّه أول من شرح المصباح ، قالت : وعن زوجي هذا أخذت العلم ، وكان يقول : ملّكني الله تعالىٰ ستة وثلاثين علماً!

. . . . (**وأم الخير**) : أمَة الخالق ، الشيخة الأصيلة المعمِّرة ، ولدت سنة إحدىٰ وعشرة وثمانمائة ، وحضرت علىٰ الجمال الحنبلي ، وأجاز لها الشرف بن الكويك وغيره ، وهي آخر من يروي البخاري عن أصحاب الحجّار ، نزل أهل الأرض درجة في رواية البخاري بموتها رحمها الله تعالىٰ . . .[1] .

* وأما العلامة ابن حجر العسقلاني ـ رحمه الله ـ فقد ذكر كثيراً من أحوال النساء واهتمامهن بالعلم ، وذكر تراجم كثيرة لهن ، من ذلك مثلاً :

قال عطاء بن أبي رباح :

كانت عائشة رضي الله عنها أفقه الناس ، وأعلم الناس ، وأحسن الناس رأياً في العامة .

---

(١) هذه مقتطفات من كتاب ابن العماد (شذرات الذهب) علماً أن فيه الكثير من تراجم النساء ، وفيها الدليل الواضح علىٰ اهتمام المسلمات بالفقه والحديث و. . . ، وخاصة الأجزاء : ٧ ، ٨ ، ٥ ، ٦ ، ٣ .

وقال هشام بن عروة عن أبيه : ما رأيت أحداً أعلم بفقه ، ولا بطبّ ، ولا بشعر من عائشة .

وأسند الزبير بن بكار عن أبي الزناد قال : ما ريت أحداً أروىٰ للشعر من عروة ، فقيل له : ما أرواك!

فقال : ما روايتي في رواية عائشة ، ما كان ينزل شيء إلا أنشدتْ فيه شعراً . . . !!

. . . ثم يحدثنا عن (زينب بنت أبي سلمة) فيقول :

قال أبو رافع الصائغ : كنت إذا ذكرتُ امرأة فقيهة بالمدينة ذكرت زينب بنت أبي سلمة ، قال : هي يومئذ أفقه امرأة بالمدينة[1] .

* وأما الخطيب البغدادي ـ رحمه الله ـ فقد ذكر تراجم عدد كبير من النساء ، وتحدث عن علمهن وفقههن واهتمامهن بالحديث وغيره ، ونذكر منها :

(**خديجة بنت موسىٰ**) : الواعظة المعروفة بنت البقّال ، سمعت أبا حفص بن شاهين ، كانت ثقة صالحة فاضلة .

(**وجَبْرة السوداء**) : مولاة أبي الفتح محمد بن أحمد ، حدَّثت عن أبي الحسين أحمد بن محمد المعروف بابن المتيّم ، كتب عنها غير واحد من أصحابنا ، وكان سماعها صحيحاً .

و(**سمانة بنت حمدان الأنبارية**) : كانت من المحدِّثات ، ومن رواياتها حديث : « من أخذ من طريق المسلمين شبراً طُوِّقه يوم القيامة من سبع أرضين »

---

(١) الإصابة في تمييز الصحابة : الجزء الرابع .

و(**خديجة أم محمد**) : كانت تغشىٰ أبا عبد الله أحمد بن حنبل ، ويحدّثها فروت الحديث ، وأخذ الأعلام عنها .

. . . . و(**زينب بنت سليمان الهاشمية**) : كانت من أفاضل النساء ، وحدثت عن أبيها ، وروىٰ عنها خلق كثير .

. . . و(**عبدة بنت عبد الرحمن**) : أم أحمد الأنصارية ، حدّثت عن أبيها ، ومن رواياتها : حدَّثني أبي عبد الرحمن ن أبيه مصعب عن أبيه ثابت عن أبيه عبد الله بن أبي قتادة عن أبيه أبي قتادة الحارثة بن ربعيّ قال : قال رسول الله ﷺ :

« خير فرساننا أبو قتادة ، وخير رجالتنا سلمة بن الأكوع »

وكانت امرأة عاقلة فصيحة متديّنة .

ومن مرويّاتها حديث : « ليس علىٰ النساء غزو ، ولا جمعة ، ولا تشييع جنازة » قال الطبراني : لم يرو هذه الأحاديث عن أبي قتادة إلا ولده ، ولا سمعناها إلا من عبده .

. . . . و(**حفيدة أبي داود السجستاني**) : هي أم سلمة فاطمة حفيدة أبي داود السجستاني ، حدّثت عن أبيها ، وسمع منها أبو القاسم عبد الواحد بن زوج الحُرّة وغيره ، وجاء في كتاب أبي القاسم قوله :

حدثتنا أم سلمة فاطمة بنت عبد الله بن سليمان بن الأشعث السجستاني إملاءً من حفظها في منزل أبي إسحاق المزكّي في سنة (٣٦٢)هـ وقالت :

حدثني أبي قال : حدثنا أبي قال : حدثنا مسلم بن إبراهيم عن شعبة عن علي بن الأقمر عن أبي الأحوص عن عبد الله بن مسعود قال : قال رسول الله ﷺ : « لا تقوم الساعة إلا علىٰ شرار الناس »

. . . و(**طاهرة بنت أحمد التنوخية**) حدثت عن أبيها ، وسُمع منها في دار القاضي أبي القاسم التنوخي ، وسمعت من خلق كثير وكانت تكتب عنهم .

. . . . و(**مُنية الكاتبة**) حدَّثت عن أبي الطيب محمد بن إسحاق الوشاء ، وروىٰ عنها عُبيد الله بن الحُسين البزّار الأنباري .

. . . . و(**فاطمة بنت محمد بن عُبيد الصيرفي**) حدثت عن أبيها ، وكانت ثقة .

. . . . و(**جمعة بنت أحمد المحميّة النيسابورية**) حدّثت عن أبي عمرو بن حمدان ، وأبي أحمد الحافظ وغيرهما ، وكان أبو حامد الإسفراييني يُعظّمها ويكرّمها[1] .

※ وأما العلامة ابن خلكان ـ رحمه الله ـ

فيترجم لطائفة من النسوة اللائي نبغن في علوم الشريعة كالفقه والحديث ونحوه ، مثال ذلك :

(**نفيسة**) : وهي ابنة أبي محمد الحسن بن زيد بن الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم زوجة إسحاق بن جعفر الصادق ، من النساء الصالحات التقيّات ، ويُروىٰ أن الإمام الشافعي رحمه الله تعالىٰ حضر إليها في مصر ، وسمع عليها الحديث ، وكان للمصريين فيها اعتقاد عظيم[2] .

※ وأما محمد بن رافع السلامي ، فينقل ترجمة عدد كبير من النساء أيضاً ، منها علىٰ سبيل المثال لا الحصر :

---

(١) تاريخ بغداد : في أماكن متفرقة ، خاصة الجزء : ١٤ .
(٢) وفيات الأعيان : ٥/ ٤٢٥ .

(أم عبد الله زينب ابنة الشيخ كمال الدين عبد الرحيم المقدسي) : الشيخة الصالحة المسندة المعمّرة ، سمعت من محمد وعبد الحميد ابني الهادي ، وإبراهيم بن خليل ، وخطيب مراد ، وعبد الرحمن بن أبي الفهم اليلداني ، ويوسف بن فرغلي ، وأحمد بن عبد الدائم ، وأجاز لها جماعة من بغداد منهم : إبراهيم بن الخير ، والمبارك ابن الخواص ، ومحمد بن عبد الكريم بن السيديّ ، والأعز بن العليق ، ويحيىٰ بن قمرة ، ومحمد بن المعني ، ومحمد بن نصر بن الحصري ، ومحمد بن عليّ بن بقاء بن السبّاك وغيرهم ، وكانت صالحة عابدة كثيرة الصلاة والصيام ، وفعل الخير ، وحدّثت بالكتب الكبار ، وكانت سهلة في التسميع ، مُحبّة لأهل الحديث ، كريمة النفس ، وتفرّدت بغالب إجازتها ، وانتُفع بها ، وخُرّج لها .

. . . . و(أمة العزيز البعلبكية) : هي ابنة الشيخ الإمام أبي الحسين علي بن محمد بن اليونيني البعلبكية ، سمعت من نصر الله بن حواريّ (سباعيات أبي الأسعد القشيري) ، ومن الشمس بن عبد الرحمن بن أبي عمر الأول من (أمالي القاضي أبي بكر) ومن المسلم بن علاّن ، وأجاز لها شيخ الشيوخ عبد العزيز والكمال الضرير وغيرهما ، وسمع منها البرزالي ، وقال : هي أكبر بنات الشيخ شرف الدين أبي الحسين الموجودات ، وتُعرف بالشيخة ، وهي امرأة مباركة ، لها عبادة واجتهاد .

. . . . (وعائشة) : ابنة الإمام الصالح شرف الدين أبي الثناء محمود بن محمد التاذّمي الحلبي ، سمعت من الشيخ تقي الدين إسماعيل بن أبي اليُسر (الشمائل) للترمذي ، ومن أبي الحسن علي بن البخاري (مشيخته) تخريج ابن الظاهري ، ومن يعقوب بن المعتمد منتقىٰ من مسند العشرة من (مسند الإمام أحمد) .

. . . . (**وفاطمة ابنة الشيخ العز بن أبي عمر المقدسي**) : هي الشيخة الصالحة المسندة المعمّرة أم عبد الله المقدسية الصالحية ، حضرت علىٰ إبراهيم بن خليل (نسخة أبي مسهر) وما معها ، و(جزء ابن الفراتي) ، وسمعت من ابن عبد الدائم (مشيخته) لنفسه ، وعدة أجزاء ، وأجاز لها محمد بن عبد الهادي ، وحدّثت مرّات ، وكانت عابدةَ رحمها الله تعالىٰ .

. . . (**وعائشة بنت إبراهيم السُّلمي**) : هي الشيخة الصالحة أم محمد ، زوج الحافظ أبي الحجاج يوسف المزّي ، سمعت من أحمد بن هبة الله بن عساكر ، ومن أحمد بن عبد الحميد بن عبد الهادي ، ومن أصحاب محمد بن السيِّد بن أبي لقمة الجزء السابع من حديث أبي النضر محمد بن أحمد بن هارون ، وحدّثت ، وسمع منها ابن طغريل الجزء السابع المذكور ، وكانت تحفظ القرآن وتلقِّنه لجماعة من النساء ، وكانت صالحة خيّرة[1] .

* * *

(١) الوفيات : القسم الأول .

الفصل الرابع

كيف مرّ تعليم النساء في التاريخ الإسلامي؟!

قبل الإجابة علىٰ هذا السؤال ، لا بدّ من ملاحظةٍ مهمة هي : أن المرأة كالرجل في مجالات التعلم ـ خاصة العلوم الشرعية ـ لذلك فهي مثله في تحمّل العلم والتفقه في الدين ، وعلىٰ لذلك أدلة كثيرة ، فعندما نزل قوله تعالىٰ :

﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴾ [الشعراء : ٢١٤] .

قام رسول الله ﷺ وقال : « يا معشر قريش! اشتروا أنفسكم لا أغني عنكم من الله شيئاً ، يا بني عبد مناف! لا أغني عنكم من الله شيئاً ، يا عباس بن عبد المطلب! لا أغني عنك من الله شيئاً ، ويا فاطمة بنت محمد! سليني ما شئت من مالي ، لا أغني عنك من الله شيئاً »[1] .

ويستنبط من هذا الحديث الشريف استقلال المرأة في كل أمر ، وهنا عليها أن تحمل ـ كالرجل ـ أعباء الدعوة وشرف الالتزام بأحكام الشريعة[2] .

والشيء الآخر : أنه لا مانع من أن تُسأل النساء في أمور العلم!!

وهذا الأمر ليس بدعة ، إنما هي سيرة العظام من هذه الأمة ، روىٰ

---

(١) رواه البخاري ، ومسلم .

(٢) للتوسّع يراجع : عالمية الدعوة إلى الله تعالىٰ ، للمؤلف : ٤٧ـ٦٠ .

الإمام مسلم في الصحيح عن ثمامة بن حزن القشيري قال : لقيتُ عائشة رضي الله عنها فسألتها عن النبيذ ، فدعت عائشة جارية حبشية ، فقالت : سل هذه فإنها كانت تنبذ لرسول الله ﷺ .

وروىٰ البخاري ومسلم في الصحيحين عن أبي سلمة قال : جاء رجل إلىٰ عبد الله بن عباس وأبو هريرة جالس عنده ، فقال : أفتني في امرأةٍ ولدت بعد زوجها بأربعين ليلة ، فقال ابن عباس : آخر الأجلين .

قلت أنا : ﴿ وَأُوْلَٰتُ ٱلْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَن يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ ﴾ [الطلاق : ٤] .

قال أبو هريرة : أنا مع ابن أخي ـ يعني أبا سلمة ـ ، فأرسل ابن عباس غلامه (كريباً) إلىٰ أم سلمة يسألها ، فقالت : قتل زوج سبيعة الأسلمية وهي حبلىٰ ، فوضعت بعد موته بأربعين ليلة ، فخطبت فأنكحها رسول الله ﷺ ، وكان أبو السنابل فيمن خطبها .

كذلك فللمرأة أن تشترك في المناظرات العلمية وتحقيق المسائل الفقهية ونحو ذلك ، ولا تمنع الشريعة الإسلامية المرأة من مجادلة ومناقشة الرجال في أمور العلم!!

فقد روىٰ البخاري ومسلم في الصحيحين عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : لعن الله الواشمات والمستوشمات ، والمتنمصات ، والمتفلجات للحسن ، المغيّرات خلق الله .

فبلغ ذلك امرأة من بني أسد يقال لها أم يعقوب ، فجاءت فقالت : بلغني أنك لعنت كيت وكيت ، فقال : وما لي لا ألعن من لعن رسول الله ﷺ ، ومن هو في كتاب الله ؟!

فقالت : لقد قرأتُ ما بين اللوحين فما وجدتُ فيه ما تقول!

فقال : لئن قرأته لقد وجدته ، أما قرأت قوله تعالىٰ :

﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ﴾ [الحشر : ٧] .

قالت : بلىٰ .

قال : فإنه قد نهىٰ عنه .

قالت : فإن أهلك يفعلونه .

قال : فاذهبي فانظري .

فذهبت فنظرت ، فلم تر من حاجتها شيئاً .

فقال : لو كانت كذلك ما جامعتها .

إذن : لقد أقبلت النساء منذ فجر الدعوة الإسلامية علىٰ العلوم الشرعية وغيرها ، لذلك برز منهن الكثيرات ، حتىٰ إن الإمام ابن سعد ترجم في كتابه الطبقات الكبرىٰ لـ (٧٠٠) لسبعمائة امرأة روين الحديث ونحوه!!

وكذلك الإمام ابن حجر العسقلاني ترجم في كتابه الإصابة في تمييز الصحابة لـ (١٤٥٣) لثلاثة وأربعين وخمسمائة وألف من المحدثات!!

وأما الإمام المؤرخ الناقد شمس الدين محمد بن عبد الرحمن السخاوي فقد ترجم في كتابه الضوء اللامع لأهل القرن التاسع لعدد كبير من النساء اللاتي حرصن علىٰ التعلم والعناية بالفقه والحديث ، وهذا الكتاب مؤلف من (٦) مجلدات ، منها مجلد كامل مؤلف من جزأين ـ أي ما يقارب من خمسمائة ورقة ـ خاص بتراجم النساء .

ونجد الأمر نفسه في (تاريخ بغداد) للخطيب البغدادي ، وفي (تهذيب الأسماء واللغات) للسخاوي ، وفي (وفيّات الأعيان) لابن خلكان . . . وغيرهم كثير .

بل إننا نجد أن كثيراً من العلماء والفقهاء والمحدثين البارزين كان من

مشايخهم بعض النساء ، من ذلك علىٰ سبيل المثال لا الحصر :

نقل الإمام السيوطي في مناقب الإمام أبي حنيفة رضي الله عنه أن الإمام قال :

لقيت من أصحاب رسول الله ﷺ أنس بن مالك ، وعبد الله بن جزء الزبيدي ، وجابر بن عبد الله ، ومعقل بن يسار ، وواثلة بن الأسقع ، وعائشة بنت عجرد ـ رضي الله عنهم جميعاً ـ !![1] .

والإمام الذهبي (ت ٤٧٨ هـ) المؤرخ الشهير له كتاب اسمه (معجم شيوخ الذهبي) ورد فيه طائفة من أسماء النساء(٨٣) وهن ثلاثٌ وثمانون امرأة أخذ الذهبي عنهن علوم الحديث والتاريخ والسيرة والفقه ونحوها[2] .

بل إن الأمر أكبر من ذلك كله ، حيث إن بعض النساء كنَّ يرددن الفتوىٰ التي يفتي بها الرجال!!

ويكفي مثالاً علىٰ ذلك ما كانت تفعله السيدة عائشة رضي الله عنها ، حيث كانت تردُّ كثيراً من الفتاوىٰ التي كان يُفتي بها رجال الصحابة ، حتىٰ إن الإمام بدر الدين الزركشي قد جمع ذلك في كتاب عنوانه (الإجابة لإيراد ما استدركته عائشة علىٰ الصحابة)!!

وهذا الأمر ـ تعليم وتعلُّم المرأة ـ لم يختص بالعهد النبوي فحسب ، بل استمرَّ عبر العصور التالية :

ففي خلافة الأمويين نبغ عدد كبير من النساء في هذا المجال ، وتصدَّر بعضهن إلىٰ التدريس ورواية الحديث واستنباط الأمور الفقهية!!

---

(١) تبييض الصحيفة بمناقب الإمام أبي حنيفة : ٣٣ .

(٢) ويذكر ياقوت الحموي في كتابه (معجم الأدباء) أن ابن عساكر عدَّ أساتذته الذين أخذ عنهم ، فكان منهم (٨١) امرأة!!

ومن أولئك النسوة ـ كما ذكر ابن خلكان ـ السيدة نفيسة بنت الحسين (ت ٢٠٨ هـ) فقد نبغت في علوم الشريعة ، حتىٰ أطلق عليها العلماء (نفيسة العلوم) ، وكان لها مجلس علم حضره فيمن حضره الإمام الشافعي رحمه الله حيث سمع عليها في الحديث ونحوه .

وحتىٰ البنات الجواري برزن في هذه الجوانب ، من ذلك مارواه العلامة المقريُّ في (نفح الطيب) أنه كان (لابن المصرف) اللغوي المشهور جارية أخذت عنه النحو واللغة ، ولكنها فاقته في ذلك ، وبرعت في العروض علىٰ الأخص ومن ثم سميت بالعروضية ، وذكر أنها كانت تحفظ عن ظهر قلب كتاب (الكامل) للمبرّد ، و(الأمالي) لأبي علي القالي ، وكانت تشرحهما ، وعليها درس كثير من العلماء هذين الكتابين وعنها أخذوا العروض!!

وهكذا يقف المرء مبهوراً أمام ما قدمت النساء في مجال العلم والتعلم ، يقف مبهوراً ويقرأ أمثلةً ونماذج ليتبين حقيقة رأي الإسلام في ذلك :

. . . تلكم السيدة فاطمة بنت الشيخ علاء الدين السمرقندي الذي ألَّف كتاباً اسمه (تحفة الفقهاء) ، درست العلوم الشرعية علىٰ يد والدها وغيره ، إلىٰ أن نبغت في ذلك كله ، فصارت الفتوىٰ تخرج من بيت والدها وعليها خطه وخطها!!

فلما تزوجها تلميذه علاء الدين الكاساني ، صارت الفتوىٰ تخرج وعليها توقيع الشيخ السمرقندي ، وابنته فاطمة ، وزوجها علاء الدين الكاساني . بل لقد قال المحققون : إنها كثيراً ما كانت تردُّ علىٰ زوجها وتعيده إلىٰ الصواب ، وهو صاحب الفتاوي الضخمة والذي ألف كتاباً اسمه (بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع) مطبوع في هذه الأيام في سبعة

مجلدات ، وفيه شرح كتاب شيخه (تحفة الفقهاء) ، لذلك قيل : شرح تحفته ، وتزوج ابنته!![1]

وتلكم زينب بنت عبد الرحمن الشعري ، والتي كانت عالمة جليلة ، أخذ عنها أعيان العلماء روايةً وإجازةً ، وكان ممن أجازها الحافظ أبو الحسن الفارسي ، وأبو القاسم الزمخشري ـ صاحب تفسير الكشاف ـ وقد أجازت هي العلامة ابن خلكان ـ صاحب وفيات الأعيان ـ وكان يومها صغيراً ، وذلك تشجيعاً له!!

وتلكم كريمة بنت أحمد المروزي ، عالمة مكة في الحديث الشريف ، حتىٰ إن الإمام الخطيب البغدادي قد قرأ عليها صحيح البخاري كله!!

وأما في العصر العباسي :

ذلك العصر الذي ازدادت الترجمة فيه للعلوم غير العربية ، وتوطدت الدولة الإسلامية وانتشر الإسلام في كل مكان ، ولم تقتصر العلوم علىٰ الرجال فقط ، بل إن كثيراً من النساء اشتهرن في هذا العصر ، سواءً في ميادين الفقه والحديث والآداب ، وخاصة العلوم العربية والشرعية .

ويكفي دليلاً علىٰ ذلك أن الإمام السبكي صاحب (طبقات الشافعية) أخذ الكثير من العلوم الشرعية عن نساء ذكرهن في كتابه!!

وكذلك أورد الإمام البخاري أنه أخذ الأحاديث عن كثير وكثيرات منهن : كريمة الحرورية والتنوخية . . .

وبرزت الكثيرات في هذا الميدان أمثال : علية بنت المهدي ، وولادة الروائية ، وحسانة التميمية ، وعائشة بنت أمد ، وفضل المدينة . . .

---

(١) طبقات الفقهاء لطاش كبرىٰ زاده : ١٠٣ ، وسير أعلام النبلاء : ٤/ ٢٥٠ .

والأجمل من ذلك ، أن الإسلام أنّىٰ حل في بلد ـ أي في الفتوحات ـ كان الهم الأكبر لهذا الدين هو نشر العلم والثقافة والنور . . . ، لذلك نجد أنه في كثرٍ من الدول حدث ما لم يكن فيها قط ، ولنكتفي بمثال واحد :

وعن مشاركة المرأة الأندلسية في مجال الفقه وعلوم الدين ، يمكن القول أن الأندلس قد أنجبت نساءً كثيرات ، نبغن في هذه العلوم ، علىٰ نحو ما تشهد كتب التاريخ ، منهن :

ـ خديجة بنت جعفر بن نصر التميمي ، زوج عبد الله بن أسد الفقيه ، يذكر صاحب الصلة (ابن بشكوال) أنها حدثت عن زوجها عبد الله بموطأ القعني قراءة عليه بلفظها في أصله ، ويضيف قائلاً : وقيّدت فيه سماعها بخطها ، في سنة أربع وتسعين وثلاثمائة ، سمعت شيخنا أبا الحسن بن المغيث رحمه الله يذكر ذلك ، وذكر لي أن الكتاب عنده ، ثم رأيت بعد ذلك ، علىٰ حسب ما ذكر رحمه الله .

ـ أم الحسن بنت أبي لواء سليمان بن أصبغ المكناسي ، قرطبية ، زاهدة ، فاضلة ، روت عن بقيّ بن مخلد سماعاً منه ، وقراءة عليه ، وسمعت هناك الحديث ، والفقه ، ثم عادت إلىٰ الأندلس ، وحجّت ثانية ، وتوفيت بمكة ـ شرّفها الله ـ .

ـ ريحانة تلميذة أبي عمرو المقرىء (المتوفىٰ عام ٤٤٤هـ) ، أخذت عنه القراءات وعلومها ، وأتمت دراسة السبع ، وروايات أخرىٰ غيرها ، فأجازها .

ـ ابنة فايز (قرطبية) زوج أبي عبد الله بن عتاب ، أخذت عن أبيها ، علوم التفسير ، واللغة ، والشعر ، وعن زوجها الفقه ، وقدمت علىٰ أبي عمرو الداني لأخذ القراءات عنه ، فألفته مريضاً من قرحة مات منها ، فسألت عن أصحابه فذكروا لها أبو داود ، فلحقت به ، بعد وصوله

(بلنسية) ، وقرأت عليه بالقراءات السبع ، وجوّدتها ، في آخر سنة (٤٤٤هـ) .

ـ خديجة بنت أبي محمد بن سعيد الشنتالي ، محدثة فاضلة ، سمعت مع أبيها من الشيخ أبي ذر عبد الله بن أحمد الهروي الحافظ ، صحيح البخاري ، كما شاركت أباها ، في السماع من شيوخه ، بمكة المكرمة .

ـ عابدة المدنية : جارية سوداء ، من رقيق المدينة ، تروي عن مالك ابن أنس ـ رحمه الله ـ وغيره من علماء المدينة ، وقال بعض الحفاظ : إنها كانت تروي ، عشرة آلاف حديث ، قدم بها (دحّون) إلىٰ الأندلس ، وأعجب بعلمها وفهمه ، فتزوجها[1] .

لذلك ـ وبعد هذا العرض الموجز ـ نستغرب من أين تتسرَّب لأمتنا مقولة أنه لا يجوز للمرأة أن تتعلم!!

وأن عليها أن تقضي حياتها في بيتها ، بل في أظلم مكان فيه ، وفي ثياب رثة!!

كم نحن بحاجة اليوم إلىٰ نساء طبيبات ، ليقمن بفحص بناتنا وأزواجنا وأمهاتنا ، بدل أن يفحصهن الرجال! ؟

كم نحن بحاجة إلىٰ مدرسات ومعلمات ليربين أبناءنا وبناتنا علىٰ ما يحب الله ويرضاه ، بدل أن نتركهم ونتركهن لمدرسات يعلمهن الإلحاد و . . . ! ؟

كم نحن بحاجة إلىٰ فتياتٍ يعلمن ومن ثم يمارسن التمريض والمداواة ؟!

---

(١) بتصرف واختصار من المرأة في الأدب الأندلسي ، إعدد محمد احدادان ، وهي رسالة ماجستير مقدمة لجامعة حلب ـ غير مطبوعة بعد ـ : ٥٩ـ٦٣ .

كم نحن بحاجة إلىٰ مذيعات يلتزمن بأوامر الله ونواهيه! ؟

كم نحن بحاجة إلىٰ زوجات متعلمات يعلمن الأولاد في البيوت ـ وأنعم من تلك المهنة من مهنة ؟!

قد لا أبالغ إن قلت : إن من أهم أسباب تخلف المسلمين هو جهل المرأة عندهم!!

وهل تحسن الجاهلة تربية الأجيال! ؟ وهل تغذي الجاهلة مع لبنها إلا الجهالة والحمق ؟!

إن المسلمين عندما اهتموا بتعليم النساء انعكس ذلك الإشراق والنور علىٰ الأطفال ، فلما كبروا مدّنوا الدنيا وعلموها الحضارة والعلوم .

ذلك هو تاريخنا الناصع ينطق بشواهد كثيرة علىٰ وقوف النساء إلىٰ جانب الرجال في حقل العلم والتعلم ورواية الفقه والحديث وتحملٌ المتاعب في سبيل ذلك كله ، بل علىٰ تتلمذ كثير من فطاحل العلم علىٰ أيدي نساء ، وما المانع من أخذ الرجال العلم عن النساء ؟!

يقبل خبر المرأة العادلة من غير مشاركة رجل معها بخلاف الشهادة ، إذ اشترط الذكورة فيها بالنص ، وهذا إنما اقتداء بالصحابة رضوان الله عليهم ، وكفىٰ بهم قدوة . وهم قبلوا خبر (بريرة) قبل العتاق ، وخبر عائشة الصديقة أم المؤمنين ، وأم سلمة وغيرها[1] .

ولم يُنقل عن أحد من العلماء بأنه ردَّ خبر امرأةٍ لكونها امرأة ، فكم من سنة قد تلقَّتها الأمة بالقبول من امرأةٍ واحدةٍ من الصحابة ، وهذا لا ينكره من له أدنىٰ نصيب من علم السنة[2] .

---

(١) فتح الرحموت شرح مسلم الثبوت : ١/ ١٤٤ .

(٢) نيل الأوطار للشوكاني : ٨/ ٢٣ .

فهذا العلامة محمد بن شهاب الزهري (ت ١٢٤ هـ) : روىٰ عن أكثر من واحدة ، فروىٰ عن عمرة بنت عبد الرحمن بن سعيد بن زرارة الأنصارية المدنية ، وهي من المكثرات عن عائشة رضي الله عنها ، وأخذ الزهري عنها كثيراً[١] .

والإمام مالك بن أنس رحمه الله تعالىٰ (ت ١٧٩ هـ) .

روىٰ عن عائشة بنت سعد بن أبي وقاص الزهرية المدنية ، وهي روت عن أبيها وعن أم ذر ، وقيل إنها رأت ستاً من أمهات المؤمنين ، وروىٰ عنها جماعة من أهل العلم ، منهم : الجعيد بن عبد الرحمن ، وأيوب ، والحكم بن عتيبة ، وأبو الزناد ، ومهاجر بن مسمار ، وعبيدة بن نابل وآخرون[٢] .

والإمام القاضي أبو يعلىٰ الفراء (ت ٤٥٨ هـ) رحمه الله تعالىٰ .

سمع من أمة السلام بنت القاضي أبي بكر أحمد بن كامل بن خلف بن شجرة البغدادية ، وتكنىٰ أم الفتح ، وسمع منها جماعة ، وسمعت هي من محمد بن إسماعيل البصلاني وغيره .

قال ابن كثير بعد أن ذكر رواية أبي يعلىٰ الفراء عنها : وأثنىٰ عليها غير واحد في دينها وفضلها وسيادتها ، كان مولدها في رجب في سنة ثمان وتسعين ومئتين ، وتوفيت في رجب سنة تسعين وثلاث مئة[٣] .

والإمام أبو سعد السمعاني (ت ٥٦٢ هـ) :

ذكر أسماء مشايخه في كتاب (التحبير في المعجم الكبير) ، وكان منهم نساء :

---

(١) تهذيب التهذيب لابن حجر العسقلاني : ١١/ ٤٦٦ .
(٢) تهذيب التهذيب : ١٢/ ٤٦٤ .
(٣) مناقب الإمام أحمد بن حنبل لابن الجوزي : ٥٤ .

سرد تسعاً وستين محدثة وراوية للحديث سمع منهن أو كتبن له إجازة بمرويَّاتهن أمثال : أمة الله القشيرية ، وزينب الأصبهانية ، وأم خلف الشحامية ، وأم الرضا الأصبهانية و . . .[1] .

والإمام ابن الجوزي رحمه الله تعالىٰ (ت ٥٩٧ هـ) :

تحدث عن مشايخه ، فذكر ثلاث نسوة سمع منهن ، وأورد بسنده عنهن ثلاثة أحاديث ، وهن : فاطمة بنت محمد الحسين بن فضلوية الرازي البزاز ، وفاطمة بنت أبي حكيم عبد الله بن إبراهيم الخبريّ ، وشُهدة بنت أحمد الإبريّ[2] .

والحافظ المنذري عن كثير من النساء ، أمثال : صفاء العيش بنت عبد الله الأشرفية الحمزية ، والشيخة أم حسن غضيبة بنت عنان السعدية ، وأم الخير فتوح بنت إبراهيم الشامية ، وخديجة بنت المفضل بن علي المقدسية ، وست الكتبة نعمة بنت علي البغدادي و . . .[3] .

والإمام ابن القيم رحمه الله تعالىٰ (ت ٧٥١ هـ) :

سمع من فاطمة بنت محمد البطائحي ، وهي محدثة روت صحيح البخاري عن ابن الزبير مرات ، وسمعت صحيح مسلم من ابن الحضيري شيخ الحنفية ، وسمعت من ابن رواحة ، وكانت دينة ، متعبدة ، صالحة ، مستدة ، ماتت عن ست وثمانين سنة[4] .

إذن أليس هذا كله أوسمة توضع علىٰ صدر التاريخ الإسلامي ؟

---

(١) التحبير في كثير من مواضعه ، خاصة ٢/ ٣٩٦ .

(٢) المنتظم لابن الجوزي : ١٠/ ٨٨ .

(٣) عناية النساء بالحديث النبوي ، مشهور بن حسن آل سلمان : ٤٠ـ٤٥ ، تضحيات في سبيل العلم ، للمؤلف : /٥٨ـ٧٤/ .

(٤) شذرات الذهب : ٦/ ٢٨ .

المرأة في الإسلام لها ما للرجل ، وعليها ما علىٰ الرجل ، لا فرق بينهما إلا في بعض الأمور الهامشية ، وكل منهما يكمِّل الآخر .

أما أن ينتسب أناس إلىٰ الإسلام ليعلنوا أن الإسلام نظر إلىٰ المرأة نظرة دونية ، أو أنه عاملها معاملة دون الرجل ، أو . . . فهذا ليس من الإسلام أبداً ، بل إن عدداً من علماء الإسلام علىٰ مرِّ العصور والأزمان أخذوا عن المرأة العلم و . . . ويكفي فخراً ما قرره إمام الجرح والتعديل الحافظ الذهبي حيث قال :

وما علمت في النساء من اتُّهمت ، ولا من تركوها[1] .

وليسمع أولئك الذين يريدون من المرأة أن تدخل بيتها المظلم وتغلق عليها بابها ولا ترىٰ أحداً :

قالت تميمة بنت سلمة : أمَّت عائشة رضي الله عنها نساءً في الفريضة في المغرب وقامت وسطهن وجهرت بالقراءة!!

وقالت ريطة الحنفية : إن عائشة أمتهنَّ في صلاة الفريضة!!

وقالت حجيرة بنت حصين : أمتنا أم سلمة أم المؤمنين رضي الله عنها في صلاة العصر وقامت بيننا!!

وقالت خيرة بنت أبي الحسن : كانت أم سلمة رضي الله عنه تؤمهنّ في رمضان وتقوم معهنّ في الصف!!

وقال يحيىٰ بن سعيد : كانت عائشة تؤم النساء في التطوع!!

وكان ابن عمر رضي الله عنهما يأمر جارية له بأن تؤم النساء في ليالي رمضان!!

---

(١) ميزان الاعتدال في نقد الرجال : ٤/ ٦٠٤ .

وقال ابن عباس رضي الله عنهما : تؤم المرأة النساء في التطوع ، تقوم وسطهنّ[1] .

* ولنوثق الأمر أكثر نحاول سرد أسماء أهم النساء اللاتي اشتهرن في الحديث والرواية عبر العصور :

طبعاً في العصر النبوي قلنا أنه ظهر كثيرات أمثال السيدة عائشة وأم سلمة وغيرهنّ .

ثم جاء من بعدهم فروين الأحاديث وشاركن في شرحها ، أمثال : عمرة بنت عبد الرحمن بن سعد بن زرارة ، حيث أخذت عن عائشة وغيرها (ت ١٠٦ هـ) .

وحفصة بنت سيرين ، وأم الدرداء الصغرىٰ ، ومعاذة بنت عبد الله أم الصّهباء العدوية ، وغيرهن كثيرات .

ثم جاء من بعدهم أمثال : عابدة المدينة حيث روت عشرة آلاف حديث ، وعُليَّة بنت حسان ، ونفيسة بنت الحسن بن يزيد ، وغيرهن .

وفي القرن الرابع الهجري برزت كثيرات من النساء أمثال فاطمة بنت عبد الرحمن ، وفاطمة بنت أبي داود ، وأمة السلام بنت القاضي أبي بكر .

وفي القرن الخامس الهجري اشتهرت بعضهن : أمثال فاطمة بنت أبي الحسن الدقاق ، وعائشة بنت حسن بن إبراهيم ، وعائشة بنت محمد بن الحسين البسطاميّ .

وفي القرن السادس الهجري برزت محدثات كثيرات أمثال : فاطمة بنت محمد بن أبي سعيد ، فاطمة بنت سعد الخير .

---

(١) المحلىٰ في مواطن متفرقة خاصة : ٣/ ١٢٠ـ١٣٥ .

وهكذا توالت الأزمنة حتىٰ يومنا ، لنرىٰ اهتمام النساء بالحديث والفقه كما اهتم الرجال ، وهذا دليل واضح علىٰ اهتمام الإسلام بتعليم المرأة .

كيف لا ، والإسلام فرض علىٰ ولي الأمر أن يحصن أهله من آفات الزامن ومن ثمّ من نار جهنم ، وذلك عن طريق العلم والثقافة ، وبالعلم وحده تتعلم الفتاة الإسلام : عقيدة ، وعبادة ، وسنناً ، وفرائض ، وأخلاقاً ، وصدق الله تعالىٰ حين قال :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ ﴾

[التحريم : ٦] .

وشرح العلامة الألوسي ذلك بقوله :

واستدل بها علىٰ أنه يجب علىٰ الرجل تعلم ما يجب من الفرائض وتعليمه لهؤلاء ، وأدخل بعضهم الأولاد في الأنفس ، لأن الولد بعض من أبيه[1] .

بالعلم قامت السماوات والأرض ، وبالعلم مُيِّز الإنسان عن سائر المخلوقات .

وبالعلم بلغ الأجداد العُلىٰ ، فهل نمنع نصف ـ بل قل ثلثي ـ المجتمع من العلم ؟!

إن هذا لأمر يُراد!!

* * *

(١) روح المعاني : ٢٨/ ٥٦ .

الفصل الخامس

فماذا عن علم السيدة عائشة رضي الله عنها؟!

في الحديث عن المرأة : عالمة ، فقيهة ، محدثة ، لا بدّ من وقفة من الشخصية العظيمة في هذا المجال ، ألا وهي السيدة عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها .

من أهم العوامل التي جعلتها تبرز في هذا المجال :

١ـ بيت والدها العلمي : فوالدها الصدِّيق كان عالماً بأشعار وأنساب العرب ، وكان الناس يأتونه ليسألونه في ذلك ، يقول ابن كثير رحمه الله في ذلك :

كان أبو بكر رجلاً مؤلفاً لقومه محبباً سهلاً ، وكان أنسب قريش لقريش وأعلم قريش لما كان فيها من خير وشر[١] .

لذلك روت عائشة رضي الله عنها كثيراً عن والدها ، شعراً ، وخطباً و . . .

---

(١) البداية والنهاية : ٣/ ٣٠ ، وينقل عمر رضا كحالة في أعلام النساء (٣/ ١٠٧) : أعدوا الذين حفظت عنهم الفتوىٰ من الصحابة مائة ونيف وثلاثون نفساً ما بين رجل وامرأة .

وقال الذهبي في الكاشف : إن عائشة أفقه نساء الأمة ، وقال الزركشي في المعتبر : إن عمر وعلياً كانا يسألانها في مسائل فقهية عديدة!!

وأفادها كثيراً في رواية أحداث السيرة والأحاديث الشريفة ، أن والدها قد أسلم أول الرجال ، وكان ملازماً لسيدنا رسول الله ﷺ .

٢ـ بيت زوجها سيدنا رسول الله ﷺ ، وهو بيت العلم ، ومنه خرجت الحكمة ، ومنه أشرق النور كله ، لذا حفظت الكثير الكثير ، حتىٰ قيل إنها حفظت للمسلمين فقه النساء ـ أي ما يتعلق بهن من طهارة وغسل وحيض ـ .

٣ـ ذكاؤها : حيث اعترف كبار الصحابة والتابعين بحدَّة ذكائها وقوة ذاكرتها وسرعة حفظها ، لذا حفظت أسباب نزول الآيات ، وأموراً أخر في الطب والشعر والأدب ونحوه .

واهتمت كثيراً بفهم دقائق التفسير القرآني ، حيث انتهجت منهجاً خاصاً بها في التفسير وهو معرفة اتفاق آيات القرآن فيما بينها ـ أي تفسير القرآن بالقرآن ـ كذلك اهتمت بالحديث الشريف ، روايةً وفهماً وشرحاً ، ولم تبخل علىٰ الناس بعلمها وفقهها .

وأما في مجال الفقه ، فقد برزت في عهد كبار الصحابة والتابعين ، ولم تكتف بنقل الأحكام الفقهية ، إنما اجتهدت في كثير من المسائل ، بل انفردت في عدد من المسائل منها :

ـ انفرادها في الإباحة لولد الزنا بالإمامة ، حيث لا فرق عندها في إمامة الصلاة بين ولد الزنا وغيره ، لأن الأفضلية للأقرأ في كتاب الله وللأفقه في أمور الشريعة .

ـ وقالت أيضاً : يجوز للمرأة السفر بدون محرم مطلقاً ، إذا أمنت علىٰ نفسها من الفتنة ، وهذا الأمر سواءً كان السفر للحج أو غيره .

ـ وقالت أيضاً : إن الرضاع يُحرِّم سواء وقع في الصغر أو الكبر ، في أي سن كان لا يحدد في حولين .

ـ وقالت : يكره السفر في شهر رمضان المبارك ، وذلك كي لا يضطر إلىٰ الفطر فيه ، ومن ثم يتعرض إلىٰ الإهمال في القضاء ، والذي يصبح ديناً في ذمة الإنسان لو مات قبل أن يقضي .

ـ وذهبت إلىٰ جواز لبس السراويل القصيرة للمحرم مطلقاً ، سواء اضطر إلىٰ ذلك أم لا .

وقد اعتمدت السيدة عائشة رضي الله عنها في فقهها علىٰ القرآن الكريم ، وعلىٰ السنة الشريفة ، وعلىٰ القياس والاستحسان والاستصحاب والعُرف ، والأمثلة علىٰ ذلك كثيرة .

وفي الفترة الأخيرة ، جُمع فقهها في مجلد كبير ورُتِّب علىٰ أحرف المعجم مع شرح وافٍ لكل أمر من الأمور ، وهذا من فضل الله ومنته علىٰ هذا الدين ، حيث هيأ له من يقومون بخدمته علىٰ سائر الدهور[1] .

* * *

(١) وهو موسوعة فقه عائشة أم المؤمنين ، تأليف الشيخ سعيد الدخيل ، تقديم الدكتور محمد رواس قلعجي ، ط/ دار النفاس ببيروت .

الفصل السادس

وماذا عن مسند الإمام أحمد بن حنبل؟!

المسند كتاب كبير جمع فيه الإمام أحمد كثيراً من الأحاديث الشريفة ، وهو من الكتب المعتمدة في هذا المجال .

لكن ما يهمنا أن الإمام روىٰ أحاديث كثيرة عن النساء ، وأفرد لذلك المجلد الأخير في هذا المسند .

وسنسرد أسماء بعضهن مع بعض ما روين ، ليكون الدليل الكافي علىٰ أن المرأة شقيقة الرجل ، تتحمّل أعباء الدعوة ، وتتقرب إلىٰ الله وتعبده ، وتمارس جميع النشاطات الدينية دون نظرة دونية ودون حرج أبداً .

١ـ من الصفحة (٤٦) وحتىٰ الصحفة (٤٠٠) أحاديث نبوية روتها أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها ، ولو جمعنا هذه الأحاديث لوجدنا عددها يبلغ (٢٣٨٣) حديثاً شريفاً .

وهذا يبيِّن الجهود التي قامت بها ، والاهتمام الكبير ، والذكاء الحاد ، اللذين ساعداها علىٰ حفظ هذه الكمية الكبيرة من هذه الأحاديث .

ومن هذه الأحاديث ما رواه الإمام أحمد عن عثمان بن عمر عن يونس عن الزهري عن عروة عن عائشة : « أن نساء المؤمنات كنَّ يشهدن مع

رسول الله ﷺ الصبح ، ثم ينقلبن متلفعات بمروطهن إلىٰ بيوتهن ما يعرفن من الغلس »[1] .

ومنها ما رواه الإمام أحمد أن عائشة قالت : لما أُمر رسول الله ﷺ بتخيير أزواجه بدأ بي ، فقال : « يا عائشة إني أذكر لك أمراً ولا عليك أن لا تستعجلي حتىٰ تذاكري أبويك » قالت : وقد علم أن أبوي لم يكونا ليأمراني بفراقه ، ثم قال : « إن الله عز وجل يقول :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ﴿٢٨﴾ وَإِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ فَإِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَٰتِ مِنكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ [الأحزاب : ٢٨ـ٢٩] .

فقلت : في أي هذا أستأمر أبوي ؟! فإني قد اخترت الله ورسوله والدار الآخرة ، قالت : ثم فعل أزواج النبي ﷺ ما فعلت[2] .

ولو تصفحنا هذه الأحاديث الشريفة التي روتها أم المؤمنين عائشة لوجدنا أن غالبيتها تنقل أحكام النساء ـ الطهارة والحيض والغُسل ونحوه ـ ، كما أنها تنقل كل ما قام به رسول الله ﷺ من فعل دون قول .

وقد عبّر أحد العلماء عن ذلك بقوله : إن أهمية علم عائشة رضي الله عنها أنها كانت تنقل لنا ما يحدث في بيت رسول الله ﷺ إلىٰ درجة أننا نعيش تلك الحياة كما لو كنا نعيش مع رسول الله ﷺ في بيته .

٢ـ ثم هناك بعض الأحاديث الشريفة التي روتها فاطمة الزهراء رضي الله عنها ، ومنها ما رواه الإمام أحمد بالسند المتصل إليها قالت : كان رسول الله ﷺ إذا دخل المسجد صلىٰ علىٰ محمد وسلم ثم قال :

---

(١) مسند الإمام أحمد : رقمه (٢٥٥٧٩) .

(٢) المسند : رقمه (٢٥٥٧٧) .

« اللهم اغفر لي ذنوبي وافتح لي أبواب رحمتك » وإذا خرج صلىٰ علىٰ محمد وسلم وقال : « اللهم اغفر لي ذنوبي وافتح لي أبواب فضلك »[1] .

٣ـ ثم ما روته أم المؤمنين حفصة بنت عمر رضي الله عنهما ، وهي تبلغ (٤٤) حديثاً ، من ذلك ما أخرجه الإمام أحمد بالسند المتصل إلىٰ حفصة رضي الله عنها أنها قالت : قال رسول الله ﷺ : « إني لأرجو أن لا يدخل النار إن شاء الله أحد شهد بدراً والحديبية » قالت : أليس الله عز وجل يقول :

« ﴿ وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ﴾ [مريم : ٧٢] ؟

قال : فسمعته يقول : ﴿ ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوا وَّنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ﴾ [مريم : ٧٢] »[2] .

٣ـ ثم أحاديث روتها أم المؤمنين أم سلمة رضي الله عنها ، ويبلغ تعدادها (٢٧٢) حديثاً ، من ذلك ما رواه الإمام أحمد بالسند المتصل إلىٰ أم سلمة أنها قالت : أنها سمعت النبي ﷺ يقول علىٰ المنبر وهي تمتشط : « أيها الناس » ، فقالت لماشطتها : لفِّي رأسي ، قالت : فقالت : فديتك إنما يقول : أيها الناس ، قلت : ويحك أو لسنا من الناس ؟

فلفَّت رأسها وقامت في حجرتها فسمعته يقول : « أيها الناس بينما أنا علىٰ الحوض جيء بكم زمراً فتفرقت بكم الطرق فناديتكم هلمّوا إلىٰ الطريق ، فناداني من بعدي قال : إنهم قد بدّلوا بعدك ، فقلت : ألا سحقاً ألا سحقاً »[3] .

---

(١) المسند : رقمه (٢٥٨٨٠) .
(٢) مسند الإمام أحمد : رقمه (٢٥٩٠١) .
(٣) المسند : رقمه (٢٦٠٠٦) .

٤ـ ثم بعض الأحاديث التي روتها أم المؤمنين زينب بنت جحش رضي الله عنها ، من ذلك أنها قالت : « إني سمعت رسول الله ﷺ علىٰ المنبر يقول : لا يحلّ لامرأة تؤمن بالله واليوم الاخر أن تحدّ علىٰ ميت فوق ثلاث ليال إلا علىٰ زوجٍ أربعة أشهر وعشراً »[١] .

٥ـ ثم في بعض الأحاديث التي روتها أم المؤمنين جويرية بنت الحارث ، ومن ذلك أنها قالت : قال رسول الله ﷺ : « من لبس ثوب حرير ألبسه الله ثوباً من النار يوم القيامة »[٢] .

٦ـ ثم هناك (٢٧) حديثاً روته أم المؤمنين أم حبيبة بنت أبي سفيان رضي الله عنها ، من ذلك ما روته عن النبي ﷺ أنه قال : « من صلّىٰ في يوم ثنتي عشرة ركعة بنىٰ الله له ـ أو بني له ـ بيت في الجنة »[٣] .

٧ـ ثم بعض الأحاديث التي روتها خنساء بنت خذام ، ومنها ما روته أخت مسعود بن العجماء ، ومنها ما روته رميثة .

٨ـ ثم (٦٧) حديثاً نبوياً روته أم المؤمنين ميمونة بنت الحارث الهلالية ، منها ما روته من أن النبي ﷺ توضأ بفضل غسلها من الجنابة[٤] .

٩ـ ثم أحاديث نبوية روته صفية أم المؤمنين ، ومنها ما روته أم الفضل بن عباس ـ وهي أخت ميمونة ـ ، ومنها ما روته أم هانىء بنت أبي طالب .

١٠ـ ومنها (٨٣) حديثاً نبوياً روته أسماء بنت أبي بكر رضي الله

---

(١) المسند : رقمه (٢٦٢١٤) .
(٢) المسند : رقمه (٢٦٢١٧) .
(٣) المسند : رقمه (٢٦٢٢٨) .
(٤) المسند : رقمه (٢٦٢٦١) .

عنهما ، من ذلك أنها سمعت النبي ﷺ يقول :

« من كان منكن يؤمن بالله واليوم الآخر فلا ترفع رأسها حتىٰ نرفع رؤوسنا ، كراهية أن يرين عورات الرجال لصغر أزرهم ، وكانوا إذ ذاك يأتزرون بهذ النمرة »[1] .

١١ـ ثم هناك أحاديث نبوية روتها : أم قيس بنت محصن أخت عكاشة بن محصن ، وسهلة بنت سهيل بن عمرو امرأة أبي حذيفة ، وأميمة بنت رقيقة ، وأخت حذيفة ، وأخت عبد الله بن رواحة ، والربيع بنت معوّذ بن عفراء ، وسلامة بنت معقل ، وضباعة بنت الزبير ، وأم حرام بنت ملحان ، وجذامة بنت وهب ، وأم الدرداء ، وأم مبشر امرأة زيد بن حارثة ، وزينب امرأة عبد الله بن مسعود ، وأم المنذر بنت قيس الأنصارية ، وخولة بنت قيس ، وأم خالد بمن خالد بن سعيد بن العاص ، وأم عمارة ، ورائطة بنت سفيان ، وعائشة بنت قدامة بن مظعون ، وميمونة بنت كروم ، وأم صبية الجهنية ، وأم إسحاق مولاة أم حكيم ، وأم رومان أم عائشة ، وأم بلال ، والصماء بنت بسر ، وفاطمة عمة أبي عبيدة ، وأسماء بنت عميس ، وفريعة بنت مالك ، وأم حميد ، وأم حكيم ، وجده ابن زيادة ، وقتيلة بنت صفيي ، والشفاء بنت عبد الله ، وابنة لخباب ، وأم عامر ، وفاطمة بنت قيس ، وأم فروة ، وأم معقل الأسدية ، وأم طفيل ، وأم جندب الأسدية ، وأم سليم ، وخولة بنت حكيم ، وأم طارق ، وامرأة رافع بن خديج ، وبقيرة ، وأم سليمان بن عمرو بن الأحوص ، وسلمىٰ بنت قيس ، وليلىٰ بنت الحرة ، وأم كرز الكعبية ، وحمنة بنت جحش ، وجدة رباح بن عبد الرحمن ، وأم بجد ، وورقة بنت عبد الله بن الحارث ، وسلمىٰ بنت مزة ، وأم

---

(١) المسند : رقمه (٢٦٤٠٧) .

معقل الأسدية ، وبسرة بنت صفوان ، ونسيبة ، وخولة بنت حكيم ، وخولة بنت تامر ، وخولة بنت ثعلبة ، وأم مالك البهزية ، وأم حكيم بن الزبير بن عبد المطلب ، وعمة حصين بن محصن ، وفاطمة بنت أبي حبيش ، وفريعة بنت مالك ، وأم أيمن ، وأم مبشر ، وحبيبة بنت أبي تجزئة ، وأم كرز الكعبية الخثعمية ، وأم شريك ، وسلمىٰ بنت قيس ، وأم هانىء بنت أبي طالب ، وسودة بنت زمعة ، وأم سليم ، ودرة بنت أبي لهب ، وسبيعة الأسلمية ، وأنيسة بنت خبيب ، وأم أيوب ، وحبيبة بنت سهلوأم حبيبة بنت جحش ، وجذامة بنت وهب ، وامرأة من بني عبد الأشهل ، وحواء جدة عمرو بن معاذ ، وكبشة ، وأم هشام بنت حارثة بن النعمان ، وأم العلاء الأنصارية ، وأم عبد الرحمن بن طارق ، وأم مسلم الأشجعية ، وأم جميل بنت المجلل ، وأم عمارة بنت كعب ، وحمنة ، وأم فروة ، وسلمىٰ ، وميمونة بنت سعدة رضي الله عنهن جميعاً .

إذن : جمع الإمام أحمد في مسنده مجلداً كاملاً روت أحاديثه عن سيدنا رسول الله ﷺ النساء .

وهذا إن دلّ علىٰ شيء فإنما يدل علىٰ ما ذهبنا إليه من أن النساء شقائق الرجال : في الفقه ، والعلم ، والحديث ، و . . .

أبعد هذا يقول قائل : إن الإسلام ظلم المرأة ، ونظر إليها نظرة دونية ، وحجبها عن العلم والنور ، وزجَّ بها في غياهب الظلمات والجهل ؟!

لقد رأينا في كتاب واحد (هو المسند) عدداً كبيراً من النسوة يروين عدداً كبيراً من الأحاديث الشريفة ، والتي تتضمن كثيراً من الأحكام الشرعية ومن أمور الفقه و . . . ، ولم يقل أحد من المسلمين أن هذا الأمر

يجب أن لا نأخذ به لأنه صادرٌ عن النساء ، علىٰ العكس تماماً ، فقد تلقته المسلمون ونقلوه بكل أمانة وصدق ، لكن أولئك الذين يحاولون اتهام الإسلام بذلك ينطبق عليهم قول المثل العربي : رمتني بدائها وانسلّت!!

* * *